ظاهرة الحزن في شعر أبي حمو موسى الثاني الزياني

م.د. إخلاص خالد عبد الجلالي

كلية العلوم الإسلامية – الجامعة العراقية

الكلمات المفتاحية: الادب العربي. أبو حمو، ظاهرة الحزن

الملخص:

تعدُّ ظاهرة الحزن من الظواهر المهمة في شعر أبي حمو موسى الثاني الزياني، وأنها مرتبطة ارتباطاً مباشراً بالموت؛ لأن الشاعر تأثر بموت والده، والغربة والحنين إلى الوطن الذي رحل عنه، والفراق الذي عانى منه، والشباب الذي رحل وحل محله الشيب، لذا؛ أدرك الشاعر أن الزمن الذي عاش فيه هو زمن الاضطراب السياسي والعنف والقهر، فكتب شعره الحزين المليء بالتحسر والبكاء والفقد والحرمان ليعبر عما يدور في نفسه، فالصورة الحزينة تعد إحدى الصور العاطفية التي تشكل عند الإنسان مرجعاً حزيناً له بصفةٍ عامة، وعند الشاعر بصفةٍ خاصة.

إن ظاهرة الحزن في الشعر العربي لم تأتِ في العصور الحديثة فحسب، وإنما هي حركة امتداد للعصور السابقة، على الرغم من أنها ظاهرة معقدة تتعلق بالفرد وما يرتبط بها من موتٍ أو تأسف أو حرمان...إلخ.

المقدمة:

إن الحزن رفيق الإنسان منذ بداية الخلق وتكوينه، فمنذ وجوده وهو يعاني من أزمة الحياة بكل تناقضاتها ويُدرك ما فيها من خيرٍ وشرٍ، وشقاء وحزن، وعبر الشعراء عن احزانهم بقصائدٍ تنزف ألماً وحزناً معبرة عن كل ما بداخلهم وكل ما عانوه في هذه الحياة.

ويأتي هذا البحث كمحاولة للوصول إلى مرجعيات الحزن عند الشاعر أبي حمو موسى الثاني، كما تحاول الدراسة الكشف عن بعض مضامينها وتوضيح دلالاتها، إذ جاءت الدراسة في مبحثين، الأول تضمن (نبذة عن حياة أبي حُمو موسى الثاني وحكمه، وتوضيح ظاهرة الحزن، وتعريف مصطلح الحزن)، وتناول الثاني (الحب والفراق، والغربة والاغتراب والحنين إلى الوطن، والبكاء، والدعاء، والشيب، والموت). وأخيراً خاتمة البحث، التي تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

منهج البحث:

انتهج البحث المنهج الوصفيّ، وبعض أدواته، كالوصف والتَّحليل والمُلاحظة.

الدراسات السَّابقة:

لم يتم دراسة ظاهرة الحزن في شعر الشاعر أبي حمو موسى الثاني الزياني، التي غلبت على شعر الشاعر، وعبر عنها بألفاظ الحزن كالحب والفراق، والغربة والاغتراب والحنين إلى الوطن، والبكاء و...الخ، الذي تناولتها في هذه الدراسة، لكن هناك دراسات لغوية وأدبية وتاريخية للشاعر الزناتي وشعره ومنها:

1-دراسة لغوية بعنوان (اللغة الشعرية عند أبي حمو موسى الزياني) لـ أحمد حاجي، وهي اطروحة دكتوراه، مُقدَّمة في جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، سنة 2008م.

2- دراسة أخرى بعنوان (شعرية الخطاب الأدبي عند أبي حمو موسى الثاني) لبرحمون محمد، وهي رسالة ماجستير ، مُقدَّمة في جامعة وهران/ كلية الآداب-اللغات والفنون/ سنة2010م.

3- دُرس دراسة تاريخية بعنوان (الحياة العلمية في عهد أبي حمو موسى الثاني الزياني(760-789هـ) للطالبتين: غانمي بريزة وقواسمية رانيا، وهي رسالة ماجستير، في جامعة محمد خضير بسكرة، سنة 2022م.

4- ودراسة تاريخية أخرى بعنوان (أبو حمو موسى الثاني سلطان بني زيان حياته واعماله-دراسة تاريخية-) ليوسف كمال، وهي رسالة ماجستير في جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، سنة 2022م.

5- دُرس دراسة أدبية بعنوان(بلاغة السرد في الشعر الملحمي لديوان أبي حمو موسى الزياني) لطالبتين: سيوان رميساء، وعبد النبي شميسة، وهي رسالة ماجستير في جامعة العربي بن مهيدي-أو البواقي، سنة 2022م.

6- دراسة أدبية أخرى بعنوان (مولدية أبي حمو موسى الزياني-دراسة اسلوبية) لـ بن زاوي كنزة، وهي رسالة ماجستير في جامعة العربي بن مهيدي-أو البواقي، سنة 2015.

ودرس ببحوث وكان عناوينها كالاتي:

1-(مطاردة النص: بين صور الاستحضار واسلوبية التقمص-نحو قراءة بديلة للشعر العربي؛ أبو حمو موسى الزياني نموذجا)، لـ د. أحمد حاجي، مجلة الآداب واللغات-جامعة ورقلة، 2004م.

2-(أبو حمو الزياني-السلطان الأديب-)، لـ أ.م.د. مها عيساوي، نشر في مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية،

3-(الأمير الأمازيغي أبو حمو موسى الثاني-رحلة السلطان/ رحلة الشعر)لـ د. أحمد موساوي، مجلة الآداب واللغات-جامعة قاصدي مرباح ورقلة-الجزائر، 2008م.
4-(صورة البطل الملحمي في شعر السلطان أبي حمو الزياني)لـ د. أحمد موساوي، جامعة ورجلة.
5- (عبد الحميد حاجيات والتأريخ لشخصيات المغرب الوسط الزياني-أبو حمو موسى الثاني نموذجاً) لـ د. الزين محمد، جامعة سيدي بلعباس، 2017م.
6-(علاقة الشريف التلمساني بالسلطة الزيانية بتلمسان-أبو حمو موسى الثاني نموذجاً) لـ د. عمارية لاغة، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، 2017م.

المبحث الأول: نبذة عن حياة أبي حُمو موسى الثاني وحكمه، وتوضيح ظاهرة الحزن، وتعريف مصطلح الحزن

اولاً: أبو حُمو موسى الثاني:

أبو حُمو موسى الثاني ابن أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمان ابن يحيى بن إيغمراسن مؤسس الدولة الزناتية دولة العبد وادي، ولد في مدينة غرناطة سنة(723هـ)، وتلقى تعليمه الأوَّلي من حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في غرناطة، ثم أرتحل إلى تلمسان، ونشأ فيها، ونال من العلم حظاً وافراً مكّنه من تحصيل مبادئ العربية والعلوم الدينية، وعندما بلغ الرابعة عشرة استولى المرينيون على تلمسان، فخرج منها مع أهله إلى فاس، بعدها توجه مع قبيلته إلى بندرومة بهدف البقاء قرب تلمسان، وانعزل عن الملك والسياسة، واتجه للزهد والعبادة(حاجيات،1394هـ-1974م،69-74)، وكان يحب العلم والعلماء، وقول الشعر، والنثر، وتأليف الكتب مثل كتاب(واسطة السلوك في سياسة الملوك)(بوعزيز،2007، 70)؛ وقد عرف عنه انه كان كثير الاعتناء بالعلم والعلماء فالمتتبع لسيرته يجد أنه إنماز بالإلمام ، ((بالعلوم واستعداده للمساهمه في النشاط الأدبي، فحظي العلماء والطلبة بعطفه وتشجيعه، ونال الكّتاب والشعراء من عطائه وكرمه)) (حاجيات،1394هـ-1974م،159).

ثانياً: حكمه:

وفد تولى أبو حُمو موسى الثاني الحكم ما بين (760-791هـ)، بعد أن اجتمعت القبائل التي تنبذ حكم بني مرين، فذهب أعيانهم إلى أبي حمو موسى الثاني يعرضون عليه الوقوف بوجه أبي عنان، وفي هذه الأثناء قام أبو عنان المريني بغزو تونس، فاجتمع عرب الذواودة من رياح عام 1359، وطلبوا من الحاجب ابن تافراكين أن يساعد أبا حمو لاستعادة عرش آبائه بتلمسان، ووازرة عرب زغبة، وسار أميرهم مع أبي حمو وعدد كبير من الأنصار، وفي الطريق علمت هذه

الجموع بموت أبي عنان، فزادهم ذلك تحفيزاً، حتى اقتحموا تلمسان في يوم7 عام 1359، وعادت الدولة الزيانية على أنقاض الدولة المرينية، واطلق عليها اسم (الدولة الزيانية) بعد أن كانت تسمى (إمارة بني عبد الواد)(بوعزيز،2007، 69-71).

وبعد عودته الى تلمسان ، وما قاساه في سبيل استعادتها ، واحياء الدولة ، قال قصيدته مطلعها : (حاجيات،1394هـ-1974م،299). (من الطويل)

جرَتْ أدمُعي بينَ الرُّسومِ الطَّواسِمِ

لما شحَطَتْها من هُبوبِ الرَّواكِمِ

ثالثاً: ظاهرة الحزن

ظاهرة نفسية ترتكز على مواقف وجودية خاضها الإنسان، على مر العصور والتي تصادفنا في الحياة وهي قدر وجب على كل إنسان تقبله، ويختلف الناس بعضهم عن البعض الآخر في في كيفية التعبير عن الحزن ، وشعور الحزن يختلف من فرد لآخر، ومن موقف لآخر، كشعور الأسى والحزن عند فقد عزيزٍ بالموت ، من الخسائر الأخرى كفقد شيء ثمين، أو بعض الممتلكات أو الأموال، أو السلطة، وكل هذه الخسائر تؤدي إلى تجربة حزينة يعيشها الإنسان.

مفهوم الحزن لغة واصطلاحاً:

الحزن لغة هو غلظة الشيء وخشونته وشدته((والحزن من الأرض والدواب ما فيه خشونة والأنثى حزنه))(الفراهيدي،2003م، 1، 313)، والحزن الشعور العميق بالأسى والألم والكآبة واليأس، وهذه المشاعر سلبية لمن يشعر بها، ((والحُزْنُ والحَزَنُ: نقيضُ الفرَح، وهو خلافُ السُّرور قال الأخفش: والمثالان يَعْتَقِبان هذا الضّرْبَ باطِّرادٍ، والجمعُ أحْزانٌ، لا يكسر على غير ذلك، وقد حَزِنَ، بالكسر، حَزَناً وتحازَنَ وتَحَزَّن. ورجل حَزنانٌ ومِحْزانٌ: شديد الحُزْنِ. وحَزَنَه الأَمرُ يَحْزُنُه حُزْناً.))(ابن منظور،1405هـ،111،13)، ويقترن الحزن بالهمّ والغمّ(الفيروزابادي،1429هـ-2008م، 359).

اما اصطلاحاً فعرف الكندي الحزن بأنه ألم نفسي ناتج من فقد أشياء محبوبة، أو عن عدم تحقق رغبات مقصودة، وحقيقة الحزن شعور فطري وعلينا ألا نختار دوام الحزن على دوام السرور؛ لأن الحزن والسرور ضدان لا يثبتان في النفس معاً(الكندي،1983، 9)، وذكر الحزن في القرآن الكريم، في قوله تعالى:((وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ))(سورة يوسف، آية84)، أي أن قلب يعقوب امتلأ بالحزن والهم وعبر عن هذا الحزن بالبكاء إلى أن بيضت عيناه.

إذن الحزن هو الألم والهم والكآبة الذي تحصل في النفس لغياب أو فقد عزيز، وهو قريب من المعنى اللغوي للحزن.

المبحث الثاني : دراسة ظاهرة الحزن في شعر أبي حمو موسى

من هنا سنتناول الحديث عن ظاهرة الحزن التي تجسدت في شعر أبي حمو، ونرصد توجهه نحو توظيفها توظيفاً فنياً وموضوعياً فضلاً عن دورها في الكشف عن مشاعر الشاعر الحزينة وأسبابها، وكيف عبر عنها في اشعاره.

اولاً: الحب والفراق

الحب هو الإحساس الأسمى بين المشاعر الإنسانية النبيلة، ومعنى الحب لغة: يأتي من((الحبّ والمحبّة، اشتقاقه من أحَبَّه إذا لزمه)) (ابن زكريا، 26/2)، أما معناه اصطلاحاً فهو((حالة عاطفية مركبة تشمل كيان الإنسان بكامله جسداً وعقلاً وروحاً، وتمتزج فيه عوامل عديدة مثل الاندفاع والانفعال العاطفي والهوى والعطف والتجاوب والتعاطف والمودة والنزوع نحو التضحية في سبيل مصلحة المحبوب وهنائه وسعادته))(العظم، 2002م، 13)، والحب أداة لشفاء جرح الإنسان وخلاصه من وضع لا يطاق، وهو السبيل إلى معرفة النفس والوجود(حسين، 2023، 704)، والمعروف عن الشاعر أنه لم يقوَ على مواجهة الفراق لرقة إحساسه، ورهافة مشاعره ، إن الفراق في اللغة يدور حول المفارقة و((فَارَقَ: طَلَّقَ، هَجَرَ، تَرَكَ، تَرَكَ، غَادَرَ، قَاطَعَ، جَفَا، نَأَى، فَارَقَ: مَاتَ، قَضَى، هَلَكَ))(طراد، 2009م، 450)، أما اصطلاحاً فهو الخروج عن الجماعة، أو هو الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة، ومن فارق الجماعة مات(العقل،7)، فكانت ثنائية الحب والفراق وراء الشعور بالحزن، وتتجلى واضحة في قصائد الشاعر، وله قصائد بعنوان الحب مثل قصيدته(كتمت حبي)، وبعنوان الفراق كقصيدته(حان الفراق)، لذلك نلحظ الشاعر عبر عن حبه بصرخة الحزن والألم؛ لأنه يشعر ببعد الأحباب والأهل والأصدقاء وفراقهم المؤلم، ومثال ذلك تصويره لقلبه وقد اعتصره الحزن،في الأبيات (14و15)من القصيدة(حاجيات،1394هـ-1974م،346)(من الطويل)

14-أَحْبَةَ قَلْبِي مَا أَمَرَّ فِرَاقُكُمْ

عَلَى قَلْبِ صَبٍّ لَا يَطِيقُ عَلَى شَي

15-حَيَاتِي وَمَوْتِي فِي هَوَاكُمْ وَإِنَّنِي

أَعْلَلُ نَفْسِي فِيكُمْ بِالْأَمَانِي

فقد عبر الشاعر عن حالة العشق والحب التي يعيشها في هذه الأبيات، ولا يطيق أي شيء سوى وجود الاحباب. إذ صور ارتباطه بقرب من يحبهم حياة، وبعدهم وفراقهم عنه كالموت.

ومن ابرز أسباب الحزن، وأشد موجبات الدموع فراق الأحبة، فيبكي العشاق لتلمس الأخبار أو عند ظهور المعالم ومطالعة الرسوم، ومنهم من يبكي عند الوقوف بالرياض وتذكر الأهل والأصدقاء؛ إلا أن أكثرهم حرقة وحزناً ولوعة وحسرة من تفيض دموعه عند موقف الفراق (مبارك، 1413هـ-1993م، 14-16)، وهذا ما نجده في مطلع قصيدته (كتمت حبي)، (حاجيات،1394هـ-1974م،312)(من البسيط)

1-كتمتُ حُبّي فأفشى الدمعُ كِتماني

وزادَ شوقي على قيسٍ وغيلانِ

2-يا جيرةَ الحيّ إنّي قد فُتِنتُ بكم

كم تَهجُروني كأنّي مذنِبٌ جانِ

3-ناديتُهم ودموعُ العينِ هاميةٌ

بأيّ ذنبٍ رضيتُم اليومَ هِجراني

صور الشاعر إخفاء حبه، لكن دموعه كشفت عن مشاعره الحقيقة، وشوقه ازداد حتى صار أعظم من شوق أشهر عشاق الشعر العربي، وهم قيس بن الملوح، مجنون بني عامر(مجنون ليلى) صاحب أشهر قصة غرامية في تاريخ الأدب العربي، وهو واحد من شهداء الحب العذري،(الوالبي، 1420هـ-1999م، 7)، وغيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود، لقب ب(ذي الرمة) وعرف بشاعر الحب والصحراء؛ لأن أغلب شعره عن الحب ووصف الصحراء(الجمحي،549)، وحبه فاق حب هذين الشاعرين ؛ لأنه أحب كل سكان الحي، والأهل، والأصدقاء، ومدينته، ولم يقتصر على حب امرأة واحدة فقط؛ لكنهم هجروه وكأنه مذنب.

وثم يذكر حبيبته ولقاءه بها، وهجرها الذي عانى منه، وفرض عليه وعلى من يحب، بسبب أمور خارجة عن إرادتهم، فيفرض عليهم الهجر فرضاً، ويقع فيه مُرغماً، فتكثر لديه الشكوى؛ لكنه لا يتخلى عنها ؛ ولا يحب بعدها(ابراهيم، 2024، 352) يقول في البيت (9) من القصيدة: (حاجيات،1394هـ-1974م،313) (من البسيط)

9-أنا جلبت الهوى حتى بليت بهِ

وخاض بحر الهوى قلبي وجثماني

ثم يصرح بحبه في البيت(13)، إذ يقول:

13-إني فتنت بذات الخال يا خولي

وعذبت بجفاها العاشق العاني

بعدها يدور الحوار بين الشاعر وحبيبته الذي فتنته بجمالها في هذه الأبيات(16و17و19و20) من القصيدة (حاجيات،1394هـ-1974م،313-314) (من البسيط):

16-قالت: وحق هواك اليوم ما نظرت

عيناك عيني إلا ذبت من شأني

17-الحبُّ من شيمتي والوَجدُ معرفتي

والصبرُ نافلتي يا آلَ زيانِ

....

19-وإنّي وحقِّ حياةِ الحبِّ ما اكتحلت

واللهِ بعدكم بالنومِ أَجفاني

20-ولا شغفتُ بحسنٍ غيرِ حسنكم

ولا اتخذتُ عليكم في الهوى ثاني

ابتلى الشاعر بالحب وعانى منه ومن فراقها، لكنها بادلته بالحب نفسه؛ لأن الحب والوجد والصبر من صفاتها، ثم رسم صورة على لسانها، وجعل الحب كالكحل وتكحلت به عيناه، واقسمت بالله-عز وجل- أنها لم تذقَ النوم منذ رحيله عنها وفراقه. ثم تحدث عن مشاعره وحبيبته بقربه، إذ قال في الأبيات(24-32)من القصيدة:(حاجيات،1394هـ-1974م،314) (من البسيط)

24-ضَمَمْتُهَا حِينَ زَارَتْنِي بِبَهْجَتِهَا

وَقَلْبُهَا عِنْدَمَا أَدْعُوهُ لَبَّانِي

25-بِتْنَا وَبَاتَ نَعِيمُ الدَّهْرِ يَأْنَسُنَا

وَالْعَيْشُ صَافٍ وَرَوْضُ الْوَصْلِ رَيَّانِ

26-وَلَا رَقِيبٌ وَلَا وَاشٍ يَطُوفُ بِنَا

إِلَّا الْحِسَانَ بِأَصْوَاتٍ وَأَلْحَانِ

27-مِنْ كُلِّ غَانِيَةٍ رَقَّتْ شَمَائِلُهَا

تَزْهُو عَلَى نَاعِمَاتِ الْقَضْبِ وَالْبَانِ

28-وكّل عاطرة فاحت نواسمها

من عنبري ومسكي وَريحانِ

29-هُمْ سَبَوْنِي وَكَمْ أَسْبُو لِذِي خَطَرٍ

مِنَ الْمُلُوكِ وَحُبِّي الْيَوْمَ بُرْهَانِي

30-قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَلْبِي وَإِنْ جَهِلَتْ

مَوْلَى حَبَابٍ وَكِسْرَى نُوشِرْوَان

31-ذَلَّتْ لِعِزَّتِنَا أُسْدُ الْوَغَى وَلَقَدْ

تَزْهُو عَلَيْنَا وَإِيمِ اللَّهِ غِزْلَانِ

32-كَمْ مِنْ كَرِيمٍ وَكَمْ مِنْ مَاجِدٍ بَطَلٍ

أَفْنَى الْغَرَامَ وَكَمْ مِنْ عَابِدٍ عَانِ

تتحول مشاعر الشاعر إلى فرح بقرب حبيبته المخلصة واحتضانها، والحياة كانت صافية وجميلة، بعيداً عن الرقيب والواشي، ويبين الشاعر خطر الحب على الملوك؛ لأن حولهم النساء الجميلات (الحسان) اللواتي يغنين بأصوات عذبة ويعزفن الألحان الجميلة. ومن هؤلاء الملوك من مات من حبه لحبيبته، هو يزيد بن عبد الملك (مولى حباب) الذي أحب جاريته حبابة، وقصة حب حفيد كسرى، وعبّر الشاعر عن فخره بقوة وشجاعة أسلافه، الذين جعلوا أسود المعارك تنحني لعزتهم. وقارن بين هذا الفخر وسحر الغزلان، التي يصفها بأنها تزهو وتعزز من شأنه، على الرغم من أنها مجرد مخلوقات رقيقة، ويذكر الناس النبلاء والأبطال الذي أضعفهم الحب وأسرهم، وكمْ من العباد المتنسكين قد عانوا بسبب عشقهم.

اما صيحة الحزن واضحة بسبب فراق الأحبة كما في قوله بالمقطع(5)من القصيدة(حاجيات،1394هـ-1974م،349)(من البسيط)

5-لَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ مَا فَارَقْتُكُمْ أَبَرًا

وَلَا رَضِيتُ سَوَاكُمْ فِي الْهَوَى أَحَدًا

لَمْ يَبْقَ لِي بَعْدَكُمْ صَبْرًا وَلَا جُلْدًا

وَالنَّوْمُ عَنْ مَقْلَتِي مِنْ بَعْدَكُمْ شُرُدًا

وَقَدْ حَرَّمْتُ لَذِيذَ الْعَيْشِ وَالْوَسْنَا

حزنه واضح من خلال تصوير حبه واعتزازه بالحبيب، إذ يسأل لو كان الدهر عادلاً لما جعله يفرق بينه وبين أحبائه، وقد فقد قوة صبره، وصاحبه السهر ببعدهم وفراقهم، وحياته بعدهم خالية من لذة العيش والراحة.

ويصور الشاعر موقف الوداع وفراق الأحبة من بدايته بكل ما احتوى هذا الموقف المؤلم من تفاصيل وأحداث، حتى لم يبقَ له من ذكرى أحبته إلا البكاء والدموع؛ وذلك واضح في قصيدته بعنوانِ (حان الفراق)؛ نظمها في بلاد أفريقية، تضمنت شوقه وحنينه وحزنه لفراق أحبابه، وبعثها إلى أبيه في مدينة فاس، إذ يقول في ابياتها(1-41)(حاجيات،1394هـ-1974م،295-297)(من الكامل)

1-حانَ الفِراقُ فَكُنتُ منهُ بِمَنْزِلٍ
ودنا الرحيلُ فَكُنتُ فيهِ بِأَوَّلِ

2-وتحكمَ البَينُ المُشَتِّتُ والنوى
فينا بفتكةِ سيفهِ المُتَكَلِّلِ

3-وبدأَ غُرابُ البينِ في عَرصاتِها
يَرْثي عليها مَنْزِلًا في مَنْزِلِ

4-والوَصلُ وَلّى راحِلًا في أثَرِهِ
قاضي الفِراقُ على كَتيبٍ مُحَجَّلِ

5-خَلَتِ المَعالِمُ والطُّلولُ دَوارِس
وذَوى الرِّياضُ وكُلُّ رَبْعٍ مُزْبِلِ

6-والدارُ أمْسَتْ بَلْقَعًا مِنْ أهلِها
يَرْثي عليها كُلُّ طَيْرِ أليْلِ

7-والوَرْقُ نائِحةٌ على أغصانِها
نوحَ الشجيِّ المُدْنِفِ المُتَعَلِّلِ

8-فَسَمِعْتُ هاتِفةً على أفنانِها
تَشكو بصوتٍ بَيِّنٍ لم يُجْهَلِ

9-فَنَشَدْتُها عن حالِها فَتَرَنَّمَتْ
وبَكَتْ وأبْكَتْ صُمَّ صَخْرِ الجَنْدَلِ

10-قالَتْ واشْواقُ النّوى لَعِبَتْ بها:
عن أغيّر حالي يا ابنَ آدمَ فاسأل

11-وأما رأيْتَ الروضَ أمْسى مُقفِرًا
لَعِبَتْ به ريحُ الصّبا والشَّمْأَلِ

12-هَاذِي دِيارُكمْ وهاذه أرضُكمْ
بالأمسِ قد كانوا بهذا المَنْزِلِ

15-نادَيْتُها والجِسْمُ مِنّي قدْ فَنى
وعلى فؤادي غَمْرَةٌ لم تَنْجَلِ

16-لو ذُقْتِ يا وَرْقاءُ ما قد ذُقْتُهُ
لَحَرَّقْتِ أغصانَ الأَرَاكِ الميلِ

17-كم حَرْقَةٍ كم زَفْرَةٍ كم لوْعةٍ
يَحْلو لديْها كلُّ صَعْبٍ مُذْهِلِ

....

21-أو حلَّ ما بي بالجِبالِ تَدَكْدَكَتْ
دَكًّا وأمْسَتْ مثلَ كُحْلِ المُكْحِلِ

....

41-فَابَلِّغْ سلامي يا نَسِيماتِ الصّبا
نحو الشقيقِ الوالدِ المُتَفَصِّلِ

الفراق أشد مرارة من الموت عند الشاعر، ووصل الأمر به إلى تهويل فعل الفراق على نفسهِ، بل إلى المبالغة في وصف ما اعتراه ساعة الفراق فشبهه بضربة السيف المميتة. وكان رمز الفراق غراب البين ينعي الأماكن التي كان بها مع أهله، ثم يصور لنا حاله وهو يتحدث ويجري حوار شيق عن حزنه لفراق أهله مع أوراق حدائق منزله التي ذبلت وناحت الطيور عليها، بعد أن أخبرته وهي تبكي وتنوح، ومن كثرة بكائها وشدة حزنها، بكت الصخور لبكائها، وهذه صورة استعارية لأن الشاعر أضفى صفة البكاء للصخرة الصماء، وجعلها تنوح كما ينوح الإنسان، وتقول له دعني انوح على المنازل المهجورة الخالية منك ومن الاهل، وعندما سمع الشاعر حديثها، غرقت عيناه بالدموع والدموع أصدق وسيلة للتعبير عن مشاعر الحب فقد اتسقت مع الألفاظ العذبة الرقيقة المناسبة للبواعث التي جسدتها. وقال لها لو ذقت يا ورقاء ما ذقته من ألم الفراق لأحرقت اغصانك من شدة الحزن، ثم يصور حزنه لو نزل على الجبال الشامخة لانفرشت واستوت واصبحت كالكحل، ثم يطلب من نسيمات الصبا أن تبلغ سلامه إلى الوالد الذي مزقه ألم الفراق وشدة الحزن والأسى.

لقد غلبت الصور الشعرية على هذه القصيدة؛ لأن الشاعر جعل الورق يتحدث والصخور تبكي والجبال تنفرش وتستوي.

ثانياً: الغربة والاغتراب والحنين الى الوطن

الغربة لغة النزوح عن الوطن ، وقال ابن منظور((والغُرْبة والغُرْب: النُّزوحُ عن الوَطَن ...والاغْتِرابُ والتغرُّب كذلك تقول منه: تَغَرَّبَ، واغْتَرَبَ، وقد غرْبه الدهرُ. ورجل غُرُب، بضم الغين والراء، وغريبٌ: بعيد عن وَطَنِه؛ الجمع غُرَباء))))(ابن منظور،1405هـ،1، 639)، ولم يبعد هذا المعنى عن معنى الغربة اصطلاحاً، وان اختلفت المعايير إلا أنها صبت في معنى البعد، وقد عرف الفقهاء الغريب بأنه((الوَحِيد الذي لا أهْل عنده))(ابن الاثير، 1979، 3، 348)، والغربة هي الشعور العميق بالبعد عن الوطن والانتماء، اما الاغتراب فيعبر عن الحالة الفعلية للشخص الذي يعيش بعيداً عن وطنه بسبب ظروف خارجه عن ارادته، مثل الظروف السياسية، والاجتماعية والاغتراب ((تلك الحالة التي لا يشعر بها الإنسان بأنه المالك الحقيقي لثرواته وطاقاته، بل يشعر بأنه ضعيف يعتمد كيانه على وجود قوى خارجية لا تمت لذاته)) (خورشيد، 1990م، 40)، اما معنى الحَنِينُ لغة فهو ((الشديدُ من البُكاءِ والطرَّبِ، وقيل: هو صوتُ الطرَّبِ كان ذلك عن حُزْنٍ أو فَرَحٍ. والحَنِينُ: الشَّوْقُ وتَوَقانُ النفس، والمَعْنَيان متقاربان، حَنَّ إليه يَحِنُّ حَنِيناً فهو حانّ))(ابن منظور،1405هـ،13، 129)، والحَنِينُ اصطلاحاً هو((مصطلح أدبي طغى على الشعراء الذين ابتعدوا عن أوطانهم فاعتراهم الشوقُ إليه، فكانوا يتغنَّون به وبجماله وهم بعيدون عنه. ولا يكون شعر الحنين إلى الأوطان إذا كان المرءُ في وطنه، إلا إذا كان في غربة نفسية. وكانوا يصدرون شعراً رقيقاً مرهفاً، وجدانياً صادقاً، ولا سيما شعراء الفتوح، والمقهورون البعيدون))(التونجي، 1999م، 1، 385)، ولم يكن شعر الغربة والحنين مصطلحاً جديداً في الشعر والأدب العربي، ولا سيما في شعر الشاعر البربري الزياني الذي شعر بالغربة والاغتراب والحنين إلى وطنه بعد منفاه، إذ يقول في قصيدته (قَفْ بِالْمَنَازِلِ)(1-10) (حاجيات،1394هـ-1974م،327-328) (من الكامل)

1-قَفْ بِالْمَنَازِلِ وَقَفَّةِ الْمُتَرَدِّدِ
مَا بَيْنَ نُؤْيٍ بِالطُّلُوْلِ وَمَوْقَدِ
2-وَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى الرُّبُوْعِ مُسْلِمًا
فَاسْأَلْ عَنْ الْقَلْبِ الْغَرِيْبِ الْمُفْرَدِ
3-حَدَّثَ بِهَا خَبَرَ الْأَسَى عَنْ مُدَنَفٍ
بِحُلْوِ الْغِرَامِ وَمَوْشَحٍ وَمُقَلِّدِ
5-نَزَحَتْ مِنَازِلُهُ وَشَطَّ مَزَارَهُ

وَنَأَتْ أَحْبَتُهُ بِغَيْرِ تَعَمُّدِ

6-فَغَدَا يُكَابِدُ عَبْرَةً فِي زَفْرَةٍ

لِلْبَيْنِ بَيْنَ مُصَوَّبٍ وَمُصَعَّدِ

.....

9-فَغَرِقَتْ فِي دَمْعِي وَمَا يُغْنِي الْبُكَا

ضَنُّوا بِتَوَدِّيعٍ فَكَيْفَ بِمَوْعِدِ

10-لَوْ كَانَ لِيَ يَوْمُ الْفِرَاقِ تَخِيرًا

لَفَدَيْتُ ظَعْنَهُمْ لِمَا مَلَكَتْ يَدِي

نظم الشاعر هذه الأبيات أثناء تجوله في الصحراء، عندما ترك عاصمته تلمسان والتجأ بناحية تيقورارين في جنوب الصحراء، أيام استيلاء عبد العزيز المريني على تلمسان والمغرب الأوسط، عبر فيها عن فقدانه للاحبه وحنينه إلى وطنه والشوق إليه، وما شعر به في منفاه من الام وآمال، وتحدث عن القلب الغريب المفرد الذي يحمل الأسى والحزن، ويربط هذا القلب بتجارب الحب والغرام ليصور عمق الحنين والشوق إلى وطنه، ويصف منازلهم الذي نزح عنها، وكيف كان يكابد الفراق والألم، ودموعه لا تغني عن البكاء، واخذ الشاعر يردد لو كان الفراق موجوداً لأختار احبته ووطنه وفداهم بحياته.

صاغ الشاعر أبو حمو شعره في قالب خيالي ورمزي، في احدى قصائده يذكر مدينته تلمسان وشوقه إليها اثناء غربته، والحب المتبادل بينه وبين عاصمة ملكه، يقول في مطلعها(1-3)

(حاجيات،1394هـ-1974م،312-314) (من البسيط)

1-كَتَمْتُ حُبِّي فَأَفْشَى الدَّمْعُ كِتْمَانِي

وَزَادَ شَوْقِي عَلَى قَيْسٍ وَغَيْلَانِ

2-يا جيرَةَ الحيّ أني قَد فتِنْتُ بكُمْ

كَمْ تَهْجُرونِي كَأَنّي مُذنِبٌ جَانِي

3-نادَيتُهُم ودُموعُ العَينِ هامِيَةٌ

باي ذَنبٍ رَضيتَ اليَومَ هَجْراني؟

في هذا النص يصور الشاعر حالة الحزن واليأس والغربة والحنين إلى وطنه من خلال تصويره للحب المتبادل بينه وبين عاصمته تلمسان، التي جسدها، واظهرها في صورة غادة حسناء، وافتن بها، بقوله:

13-اني فَتَنتُ بذاتِ الخالِ يا خَولي

وَعَذَّبتُ بجَفاها العاشِقَ العاني

ثم أجرى معها حديثا غزلياً شيقاً ولطيفاً، إذ يقول:

16-قالَتْ: وحَقَّ هَواكَ اليَومَ ما نَظَرَتْ

عَيناكَ عَيني الا ذَبَتْ مِن شاني

17-الحُبُّ مِن شِيمَتي وَالوَجْدُ مُعَرَّفَتي

وَالصَّبْرُ نافِلَتي يا آلَ زَيّان

ويتساءل عن سبب البعد والهجران الذي حل به، وابعده عن حبيبته (مدينته)، لكنه يعد (حبيبته) وعداً صادقاً؛ بأنه لا يتخلى عنها ولا ينساها.

20-اني وَحَقَّ حَياةَ الحُبِّ ما اكتَحَلَتْ

والله بَعْدَكُم بالنَوْمِ أَجْفاني

21-ولا شَغَفْتُ بحُسْنِ غَيرَ حُسنِكُم

ولا أَخَذتُ عَلَيكُم بالهَوَى ثاني

يظهر شوق الشاعر إلى الديار المقدسة والحنين إليها، بقوله (حاجيات،1394هـ-1974م،353-354) (من الطويل)

26-فِيَا حَادِيًا يَحْدُو الرِّكَّابَ لِطَيِّبَةٍ

يَجُوبُ بِهَا بَحْرَ الفَلَاةِ طَلَاحَا

27-إِذَا جِئْتَ نَجْدًا أَوْ نَشَقَّتْ نَسِيمُهَا

وَشَمَّتْ عَرَارًا رُبُوةً وَبَطَاحَا

28-فَصَرِّحْ بِذِكْرِي فِي الخِيَامِ وَأَهْلِهَا

وَنَاشَدْهُمْ شَوْقِي هُنَاكَ صَرَاحَا

في هذه الأبيات يتجلى أثر الحنين والشوق إلى مدينة الرسول(ﷺ)، طيبة أسم من اسماء المدينة، ويصف السفر إلى الأرض المباركة ولحظة الوصول إلى نجد، ويدعوا الرسول(ﷺ) دعوة مشتاق لأرضه المقدسة، بقوله:

36-الَا يَا رَسُولَ اللهِ دَعْوَةٌ شَيِّقٌ

يُؤْمَلُ آمَالًا لَدَيْكَ فَسَاحَا

37-مُقِيمٌ بِغَرْبٍ كَادَ مِنْ فُرُطِ حُبِّهِ

يَطِيرُ اشْتِيَاقًا لَوْ أَعِيرَ جَنَاحًا

والشاعر لم يحن إلى مدينة الرسول(ﷺ) فقط، بل يطلب الشفاعة من الرسول الأعظم(ﷺ)ايضا؛ لأنه يرى السعادة ضمنت لكل من يرغب الوصول إليها.

نظم الشاعر الكثير من الأبيات في حنينه إلى مكة المكرمة (طيبة) بقصيدة أخرى يقول فيها(28-31):(حاجيات،1394هـ-1974م،367) (من المتقارب)

28-إذا هَبَتْ الرِّيحُ مِن طَيْبَةٍ

تَعَطَّرَتِ الأَرْضُ مِسْكًا وَطِيبًا

29-فأصبو إليها ومن أجلها

أحبّ الصَّبا وأحبّ الجنوبا

30-تَهُبُّ النَّوَاسِمُ مِنْ أَرْضِهَا

فَيَزْدَادُ نَارُ اشْتِيَاقِي لَهِيبَهَا

31-حِنِينًا وَشَوْقًا إِلَى الْمُصْطَفَى

إِلَى مَنْ بِهِ اللهُ يَمْحُو الذُّنُوبَا

وصف الشاعر الجمال الطبيعي لمكة المكرمة في هذه الأبيات وكيف تعطرت الأرض بعبق الطيب والمسك الذي فاح منها، ويذكرهُ ذلك العطر بقبر النبي محمد(ﷺ)، والحنين إليها ورغبته في اللقاء به ومسح ذنوبه برحمة الله وتقربه منه ليغفر له ذنوبه. ويتذكر أيضاً الأحبة في تلك البقاع المقدسة، حتى تهيج كوامنه وهو يودع قوافل الحجيج الراحلة من المغرب إلى بلاد الحجاز، ويحملهم رسائل شوقه إلى حبيبه النبي محمد (ﷺ).

ثالثاً: البكاء

البكاء ظاهرة بارزة في شعر أبي حمو وتكمن في القيم التعبيرية التي عبر من خلالها الشاعر عن الحالات الانفعالية التي يمر بها، وتعريف البكاء لغةً: يحيلنا إلى أنها مصدر من مادة (ب ك ي)، كما وردت في لسان العرب عند ابن منظور((البُكاءُ يُقصَرُ ويُمَدُّ، قالَهُ الفَرّاءُ وغَيرُهُ، إذا مَدَدتَ أَردتَ الصوتَ الذي يكون مع البكاء، وإذا قَصرت أَردتَ الدُّموعَ وخُروجَها))(لِسَانُ العَرب، 1405هـ-1363م، ج82/14) و(البَكُوءَ) الباءُ والكافُ والواوُ والهمزةُ أصلانِ، ((أحدُهما البُكَاءُ... بَكَى يَبكِي بُكَاءً...وتقولُ بَاكَيتُ فُلاناً فَبَكَيْتُهُ أي كنتُ أَبكَى منه))(ابن زكريا، 285/1)، اما تعريف البكاء اصطلاحاً فلا يختلف عن تعريفه لغةً، البكاء اصطلاحاً: يعد من حاجات الإنسان الطبيعية كالضحك كما في قوله تعالى ((وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى))(النجم، 43)، وهذا يعني خلق

الله تعالى الإنسان بحاجة إلى البكاء كحاجته إلى الضحك، لهذا يعبّر عن فرحه بالضحك وعن حزنه بالبكاء، والمحركات المثيرة للبكاء هي الغضب، الحزن، الفرح، الخوف، المزاح، الفشل، والإنسان السويّ يجمع بين الضحك والبكاء في الموضع المناسب(شهري، 1432هـ-2011م، ج9، 12-14).

ويبدو أن بكاء الشاعر أبي حمو ونزول دموعه يمثلان ظاهرة الحزن البارزة في شعره؛ بسبب كثرة ورودهما في ثنايا ديوانه، ومثال ذلك قوله عندما رثى والده يوسف في البيت(21) من قصيدته بعنوان (صب تذكر عهداً)(حاجيات،1394هـ-1974م،337)(من البسيط)

21-لَاهُمْلَنِ دُمُوعِي مَا حَيِيتُ وَإِنَّ

أَبْقَانِي الْعُمْرُ تَرْفَتِ الدَّمَا تَرْفَا

في هذا البيت بكى الشاعر لفقد والده بدموع لا تتوقف طوال حياته.

وقوله في حزنه واشتياقه للنبي محمد(ﷺ)ورثائه له في قصيدة قالها في مولده سنة (760هـ) (حاجيات،1394هـ-1974م،341-343) (من المتدارك)

1-نَامَ الأَحْبَابُ وَلَمْ تَنَمِ

عَيْنِي بِمُصَارَعَةِ النَّدَمِ

2-وَالدَّمْعُ تَحُدَّرَ كَالدِّيمِ

جُرْحُ الْخَدَيْنِ فَوَا الْمَيّ

ويواصل أبو حمو حزنه وشوقه وبكاءه في قصيدته عندما يتذكر الأحبة في البقاع المقدسة، يصور نحيبه بأبيات متفرقه من القصيدة ومنها البيت(22):(حاجيات،1394هـ-1974م،342) (من المتدارك)

22-قَلْبِيَ انْفَطَرَا وَالدَّمْعُ جَرَى

وَالرُّكْبُ سَرَى نَحْوَ الْعِلْمِ

ويصور شوقه الذي جعله ينحب ويبكي لبعده عن شفيع الأمة النبي الكريم محمد خاتم المرسلين(ﷺ)، إذ يقول في البيت(27)من القصيدة: (حاجيات،1394هـ-1974م،343) (من المتدارك)

27-وَغَدَا الْمُشْتَاقُ بِزَفِرَتِهِ

فِي مَغْرِبِهِ يَبْكِي بِدَمِ

وفي بيت أخر (31) من القصيدة يصور الشاعر شوقه الذي جعله ينحب ويبكي لبعده عن شفيع الأمة النبي الكريم محمد خاتم المرسلين(ﷺ): (حاجيات،1394هـ-1974م،343) (من المتدارك)

31-وَبَكَيْتُ الدَّمْعَ عَلَى زَلَلِي

وَمَزَجْتُ الدَّمْعَ بِفَيْضِ دَمِ

إذ نرى في البيت(37)من القصيدة نفسها يصور شدة شوقه للنبي الأكرم(ﷺ)، يجعل قلبه مشغول بذكر الحرم المطهر، لكن جسمه بمدينته تلمسان: (حاجيات،1394هـ-1974م،343) (من المتدارك)

37-جَسْمِي بِتِلْمِسَانَ دَنَفًا

وَالْقَلْبُ رَهِينُ بِالْحَرَمِ

يواصل ذكر النبي الكريم(ﷺ)وشدة شوقه له، وبكاءه على بعده عن حرمه الشريف فيقول في مطلعها(حاجيات،1394هـ-1974م،365)(من المتقارب)

1-أَلْفَتْ الضَّنَى وَالْفَتَ النَّحِيبَا

وَشَبَّ الْأَسَى فِي فُؤَادِي لَهِيبَا

2-وَحَقَّ لِنَفْسِي أَسَى أَنْ تَذُوبَا

وَلِلدَّمْعِ مِنْ مَقْلَتَيْ أَنْ يَصُوبَا

ثم يقول في البيت (16و17) من القصيدة (حاجيات،1394هـ-1974م،366)(من المتقارب)

16-هَجَرْتُ الْهَجْوَعَ نَثَرْتُ الدُّمُوعَ

فَسَرِيًّا أَذِيعَ وَقَلْبِي أَذِيبَا

17-أَبْكِي الرُّسُومَ وَأَرْعَى النُّجُومَ

أَسَاسِيُّ الْهُمُومِ مَعًا وَالْخُطُوبَا

وفي البيت (25و26) يتحسر على انتهاء العمر ، وامتلئ جسمه بالعلل والقلب بالحزن والكأبه، بقوله: (حاجيات،1394هـ-1974م،366-367) (من المتقارب)

25-مَضَى الْعُمْرُ يَا حَسْرَتِي فِي الظَّلَا

لَ وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ مِنْهُ شَيْبًا

26-وأضحى من الشوق جسمي عليلا

وأمسى من الهجر قلبي كئيبا

ويذكر في البيتين(40و41) (حاجيات،1394هـ-1974م،368) (من المتقارب)

40-وَإِنْ جِئْتُ نَجْدًا وَاعِلَامَهَا

فَشَقَّ ثَرَاهَا بِدَمْعِيّ سَكِيبَا

41-فقبر الرسول مناي وسؤلي

عسى بالوصول سأحظى نصيبا

لم يكتفِ الشاعر من لوم نفسه والندم والألم والحزن على فقدان أحبته، بل كانت دموع الحزن تنسكب بغزاره حتى جرحت خديه، إذ تقدم به العمر وظهر الشيب وتمزق قلبه وتدفقت دموعه؛ بسبب بعده عن النبي(ﷺ)ولم يستطع الوصول إلى حرمه، إذ عبر عن ندمهِ وأسفهِ على أخطائهِ، وعن غمر دموعه بدماء الألم والحزن. ويصف حالته الجسدية والروحية، حيث أن جسده في تلمسان، بينما قلبه رهين بالحرم (رمز للحزن والألم).

والبيت(43)،يؤكد الشاعر اشتياقه عندما سارت النياق لحرم النبي(ﷺ)(حاجيات،1394هـ-1974م،368) (من المتقارب)

43-حَدَوُا بِالنِّيَّاقِ فَزَادَ اشْتِيَاقِي

وَسَأَلْتُ سَوَاقِيْ دُمُوعِي صَبِيبًا

ويختم قصيدته بالسلام الدائم لنبي الرحمة محمد (ﷺ)(حاجيات،1394هـ-1974م،370) (من المتقارب)

60-عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا تَبْكِي حُمَامٌ

وَمَا أَضْحَكَ الرَّوْضُ ثُغْرًا شَنِيبًا

مما يلاحظ في هذا اللون من البكاء مزج الشاعر أبو حمو بين الحزن والألم والشوق والبكاء المتفجع على بعده من حبيبه الذي يقتدي به ولم يستطع الوصول اليه لبعد المسافة بين مدينته والحرم الشريف، وينهي قصيدته بالسلام على النبي(ﷺ) المتواصل بلا انقطاع.

يكرر الشاعر حزنه الذي عبر عنه بالبكاء؛ بسبب شوقه للنبي محمد(ﷺ)، وهذا الحزن مثل الجزء الأكبر في شعره، إذ يقول في قصيدة آخرى(حاجيات،1394هـ-1974م،371) (من البسيط)

1-الحُبُّ أضعفَ جَسْمِي فَوْقَ ما وَجَبَا

وَالشَّوْقُ رَدَّ خَيَالِي بِالسَّقَامِ هَبَا

2-وَالْبَيْنُ أَشْعَلَ نَارَ الْوُجُدِ فِي كَبِدِي

وَالدَّمْعُ يُضَرِّمُهَا فِي الْقَلْبِ وَأَعْجَبَا

وفي البيت(10)من القصيدة: (حاجيات،1394هـ-1974م،371) (من البسيط)

10-وَقَدْ شَغَلْتُ بِقَلْبِي كُلَّ مُشْتَغِلٍ

وَقَدْ مَزَجْتُ دَمًا بِالدَّمْعِ مُنْسَكِبًا

والبيت(12): (حاجيات،1394هـ-1974م،372) (من البسيط)

12-أَكْفَكِفِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنَيْ فَيَغْمُرْهَا

كَمْ بَيْنَ مَنْ بَاتَ مَسْرُورًا وَمُنْتَحِبًا

وفي البيتين(32و33) (حاجيات،1394هـ-1974م،373) (من البسيط)

32-مَزَجْتُ دَمْعِي دَمًا مِنْ بَعْدِ رَحِيلِهِمْ

فَانْظُرْ تَرَ عَجَبًا لِلدَّمْعِ مُخْتَضِبًا

33-وَكَمْ سَحَبْتُ ذَيُولِي فِي الْهَوَى مُرَحًّا

وَكَمْ سَفَحْتُ دُمُوعِي بَعْدَهُمْ سَحَبًا

نلحظ في هذه أبيات القصيدة تكرار الشاعر لكلمة(الدمع) مثل (الدمع، دمعي، دموعي) وهذا يدل على حزنه وشوقه وحنينه لمن شغل قلبه.

واللون الآخر للحزن هو بكاء الميت واظهار العويل والنوح والنحيب عليه بكلام حزين يبكي العيون ويحرق القلب لشدَّة فراق الفقيد، وأبو حمو عبر في هذا اللون من الرثاء عن مبلغ حزنه وألم فاجعته الكبرى، قالفي الأبيات(3-5)(حاجيات،1394هـ-1974م،333) (من الكامل)

3-فَبَكَيْتُ مِنْ أَسَفٍ لِذَلِكَ كَمَا بَكَتْ

حُزْنًا عَلَيْهِ مِنَازِلِي وَرُبُوعِي

4-لَمْ تُنْصِفِ الْأَيَّامُ حَرَّ فَرَاقَهُ

لَكِنَّهُ قَدْ انصَفَتْهُ دُمُوعِي

5-عَجِبًا لِأَجْفَانِي سَخِتْ بِدُمُوعِهَا

وَالْقَلْبُ مُحْتَرِقٌ بِنَارِ ضُلُوعِي

يحزن الشاعر لفراق والده ويعبر عن حزنه بالبكاء بقوله(فَبَكَيْتُ) و(بَكَتْ) وبكاء الشاعر دائم ومستمر استمرار ثكل الشاعر، ومع هذا فهو متنفس للشاعر؛ لأنه يفرغ شحنته العاطفية وبالتالي يشعر بالارتياح، وهناك من شارك الشاعر حزنه وبكائه (المنازل والربوع).

اما الحزن في هذه الأبيات(1- 23)التي ظهرت فيها شخصية أبي حمو المنكسرة الحزينة بسبب نفيه وعودته إلى تلمسان، قوله في مطلعها(حاجيات،1394هـ-1974م،299) (من الطويل)

1-جرَتْ أدمُعي بينَ الرُّسومِ الطَّواسِمِ

لما شحَطَتْها من هُبوبِ الرَّواكِمِ

والبيت(5): (حاجيات،1394هـ-1974م،299) (من الطويل)

5-وصَفَّقَتْ ما بينَ الطُّلولِ خَوامِسِي

وفاضَتْ سَواقِي الدَّمعِ مثلَ الأراقِمِ

والبيت(23) (حاجيات،1394هـ-1974م،301) (من الطويل)

23-وجئتُ لأرضِ الزابِ تذرفُ أدمُعي

لتذكارِ أطلالِ الرُّسومِ الطَّواسِمِ

عبر الشاعر عن حزنه الذي تجلى في دموعه المنهمرة بين آثار الديار القديمة، حتى سالت بكثرة بين بقايا الأطلال، وجاء لأرض الزاب، ليبكي ويتذكر الأطلال القديمة التي طمست معالمها.

رابعاً: الدعاء

إن الدعاء مهم للعباد لتواصلهم مع ربهم، كما قال الله -عز وجل-((وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ))(غافر، 60)، ويقصد بالدعاء لغة: هو((إن تميل الشَّيءَ إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك. تقول: دعوت أدعُو دعاءً))(ابن زكريا، 279/2)، ومعناه اصطلاحاً((استدعاءُ العبدِ رَبهُ-عز وجل- العِنَايَةَ واستمدادُهُ إياهُ المعونةَ. وحقيقتهُ: إظهار الافتقار إليهِ، والتبرؤ من الحَوْلِ والقوة، وهو سمة العبودِية، واستشعار الذلةِ البشرية، وفيْهِ مَعْنَى الثناءِ على الله –عز وجل- وإضافة الجودِ والكرمِ إليهِ))(الخطابي، 1412هـ-1992م، 4)، فمعنى الدعاء هو الاستغاثة والتوجه لله وطلب الحاجة، اما خصوصية الدعاء فهي العلاقة الوثيقة التي تربط المخلوق بالخالق. وفي شعر أبي حمو نماذج رقيقة في التبتل لله والخضوع له والانقياد إليه، ويكثر الشاعر من الدعاء في شعره، حتى غلب على اكثر قصائده، ومثال ذلك قوله في خاتمة قصيدته(قف بالمنازل) في الأبيات(56-65) (حاجيات،1394هـ-1974م،330)(من الكامل)

56-دارَتْ بِنَا الأَعْدَاءُ فَصَرَنَا بَيْنَهُمْ

كَالدُّرَّةِ الْبَيْضَاءِ بِلَيْلٍ أَسْوَدِ

57-اثْنَانِ كَانَ اللَّهُ ثَالِثَنَا بِهَا

وَلِكُمْ لَهُ عَقْدُ الشَّدَائِدِ مِنْ يَدِ

58-وَلِكُمْ عَفَا وَلِكُمْ أَنَالَ تَفْضِلًا

وَاللَّهُ رَبِّي نَاصِرِي وَمُؤَيِّدِي

59-يَا رَبِّ كَمْ آنَسْتَنِي فِي غُرْبَتِي

يَا رَبِّ كَمْ فَرَّجْتَ كَرْبَ الْمُكْمَدِ

60-يَا رَبِّ فَأَجِبْرْ مَا تَرَى مِنْ حَالَتِي

يَا رَبِّ وَأَجِبْرْ قَلْبَ كُلِّ مُوحِدِ

61-يَا نَفْسُ لَا تَيْئَسِ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى

فَاللَّهُ يَجْمَعُ شُمُلَ كُلِّ مُبْعِدِ

62-سَتَعُودُ أَيَّامُ السُّرُورِ وَطِيبَهَا

وَتَعُودُ عَنْ قُرْبٍ لَيَالِي الْأَسْعَدِ

63-يَا رَبِّ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَأَهْلِهِ

وَبِجَاهِ يَثْرِبَ وَالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

64-فَرِّجْ بِحَقِّكَ كَرْبَتِي يَا مَوْئِلِي

وَبِحَقِّ فَضْلِكَ لَا تَخِيبْ مَقْصَدِي

65-ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

مَا غَرِدَتْ وَرَقٌ بِغُصْنٍ أَمْلَدِ

توكل الشاعر على الله في مواجهة الصعاب والمحن، حتى في وسط الظلمة يشعر وكأنه الدرة البيضاء في ليل أسود؛ لأن الله –غز وجل- دائمًا حاضر معه في كل محنة، يفرج كربته ويصلح أموره ويعينه في غربته، ويختم الشاعر قصيدته بالتوسل لله تعالى ان يعينه بحق نبيه محمد(ﷺ) لما له من منزله رفيعة عند الله تعالى.

ونظم الشاعر قصيدة بطلب الرحمة والمغفرة والوقاية من عذاب الله تعالى بقولهفي البيتين(9و10)من قصيدته: (حاجيات،1394هـ-1974م،342)(من المتدارك)

9-يا رَبَّ ذُنُوبِي قَدْ عَظَمَتْ

فَامْنَنْ بِالْعَفْوِ لِمُجْتَرِمِ

10-فَالْعَفْوُ إِلَهِيُّ مِنْكَ وَأَنَّ

الذَّنْبَ وَحَقُّكَ مِنْ شِيمِي

وفي البيتين(14و15) (حاجيات،1394هـ-1974م،342)(من المتدارك)

14-كَمْ أَجْنِي الذَّنْبَ وَتَمَهَّلَنِي

وَتَقَابَلَ ذَلِكَ بِالنِّعَمِ

15-وَلَكَمْ أَعْصِيكَ وَتَسْتُرُنِي

يَا ذَا الْأَفْضَالِ وَذَا الْكَرَمِ

هنا يعترف الشاعر بكثرة ذنوبه، لكنه موقن برحمة الله الواسعة، وعفوه أعظم من الذنوب التي ارتكبها.

وفي موضع آخر يقف أمام الله تعالى وخطاياه،إذ قال في المقطع(19) من قصيدته:(حاجيات،1394هـ-1974م،351)(من البسيط)

19-يَا رَبَّ عَبْدَكَ مُوسَى ذُنُبُهُ عَظُمَا

فَهَبْ لَهُ الْعَفْوَ جُودًا وَالرِّضَى كَرَمًا

وَارْحَمْ ضِرَاعَتَهُ يَا خَيْرَ مَنْ رَحِمَا

يَا رَبَّ لَا تَبْعَدِ الْجَانِي بِمَا اجْتَرَمَا

أَنْتَ الْغَنِيُّ وَمَا لِلْخَلْقِ عَنْكَ غَنَى

يتحدث الشاعر مع ربه بصفته العبد المذنب، فيتوسل لله –تعالى- أن يغفر ذنبه، ويعفو عنه، ويرحمه؛ لأنه الرحيم الكريم الغني عن عباده.

أبو حمو ينظم قصيدة عنوانها(يا من يجيب ندا المضطر) يحمل معنى الدعاء والتضرع لله-عز وجل- ومقتبسه من قوله تعالى: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ)(النمل، 62)، كان مطلعها قوله:(حاجيات،1394هـ-1974م،362)(من البسيط)

1-يا من يَجِيبُ نِدَاءَ الْمُضْطَرِّ فِي الدَّيّجِ

وَيُكْشِفُ الضَّرَّ عِنْدَ الضِّيقِ وَالهَوْجِ

وفي البيتين(4و5) يقول: (حاجيات،1394هـ-1974م،362)(من البسيط)

4-إِنِّي دَعَوْتُكَ جَنَحَ اللَّيْلِ يَا أُمَلِي

دُعَاءَ مُبْتَهِلٍ بِالْعَفْوِ مُنْتَهَجِ

5-يا كَاشِفَ الضَّرِّ عَنْ أَيُّوبَ حِينَ دَعَا

قَدْ مَسَّنِي الضَّرُّ فَاكْشِفْ كُرْبَ كُلِّ شَجِي

الشاعر يناجي الله الذي يجيب نداء المضطرين حيثما كانوا، ويدعوه في جنح الليل، مبتهلاً بالعفو والرحمة، ومنتظرًا إجابة الدعاء، ويذكر قصة النبي أيوب (عليه السلام) المقتبسه من القرآن الكريم اقتباساً غير مباشر من قوله تعالى: ((وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرحَمُ الرَّحِمِينَ))(الأنبياء، 8)عندما دعا نبي الله أيوب الله في محنته واضطراره، حتى كشف الله ضره،

لذلك يطلب الشاعر من الله أن يكشف الضر والبلاء عنه. ويختم الشاعر قصيدته بقوله: (حاجيات،1394هـ-1974م،364)(من البسيط)

39-اصلح بفضلك ما قد كان من خلل

واجبر بحلمك ما قد بان من عوجِ

40-واجعل لنا مخرجا في اثره فرج

فكم تعامل بعد الضيق بالفرجِ

41-وصل صلاة على المختار من مضر

ما لاحت الشهب في الآفاق كالسرجِ

الشاعر يطلب من الله-عز وجل- ان يصلح حاله بفضل منه؛ لأن الله يفرج ضيق الإنسان ويجعل له مخرجاً؛ لأن ((لاَ يَرُد القَضَاءَ إلا الدُّعاء))(الخطابي، 1412هـ-1992م، 7)، ويقتبس الشاعر معنى البيت الثاني اقتباساً غير مباشر من قوله تعالى: ((وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجا))(الطلاق، 2) وفي الختام ويدعو الله أن يصلي على النبي محمد(ﷺ) صلاة دائمة، وهذه الصلاة على النبي(ﷺ) كان الشاعر يختتم فيها اغلب قصائده.

خامساً: الشيب

الشَّيْبُ لغة ((بياضُ الشَّعَر))(ابن منظور، 1405هـ،1، 512)، والمشيبُ هو ((دخولُ الرجُلِ في حَدِ الشّيبِ من الرجالِ. والأَشْيَبُ المُبْيَضُّ الرأسِ وجمعهُ شيبٌ)) (الرازي،1989، 309) ولا يختلف تعريف المشيب الاصطلاحي عن تعريفه اللغوي، الشيب هو المرحلة الطبيعية في حياة الإنسان و((الشيب نذير الموت))(عبد ربه،2007، 2، 331)، وقد عانى الشعراء من الحزن والمرارة والحسرة والتلهف على الزمن الماضي، زمن الشباب والحيوية والسرور، وقد قيل ((ما بكت العرب على شيء ما بكت على الشباب وما بلغوا منه ما يستحق))(محمد، 2016، 93)، واختلف الشعراء في نظرتهم للشيب، ومنهم الشاعر أبو حمو ذكر الشيب في كثير من أبياته الشعرية منها قولهفي الأبيات(4-6): (حاجيات،1394هـ-1974م،341)(من المتدارك)

4-وَنُديرُ الشَّيْبَ لَقَدْ وَافَى

وَحُلُولُ الشَّيْبِ مِنَ الْهَرَمِ

5-والعمر تولَّى منصرما

آه للعمر المنصرمِ

6-وكذا الأيام لها عبر

وليالي الدهر كما الحلم

كرر الشاعر لفظة (الشيب) في صدر البيت وعجزه، وظهور الشيب يدل على تقدم العمر، وهو من علامات الشيخوخة وهذه حقيقة حياة الإنسان، وفي هذه المرحلة من العمر يستحضر الشاعر ذكرياته ويتشبث بماضيه، ويصبح نهباً لأحلام اليقظة التي لا يجد غيرها ميداناً لتحقيق الذات، وتعويض ما فات، فنجده يستذكر الماضي وما حققه في ايامه من عبر وحكم، لهذا كثيراً ما يبكي الإنسان شبابه الغارب، الذي كان فيه أشد قوة وقدرة على الفعل(الشمري،2014، 99).

قيل ((أحسن أنماط الشعر العربي المراثي والبكاء على الشباب)) (عبد ربه،2007، 2، 335)، ومن شعر أبو حمو قوله في البيت(25)من قصيدته(مشوق تزيا بالغرام)(حاجيات،1394هـ-1974م،353)(من الطويل)

25-وَوَلَى شَبَابِي فِي التَّصَابِي وَلاحَ لِي

مُشِيبٌ بِهِ عَادَ الْمَسَاءُ صَبَاحاً

هذا البيت عبر الشاعر فيه عن عمر الإنسان وسرعته، إذ سرعان ما انقضى عمر الشباب وحل محله عمر شيخوخته،و((الشيب عنوان الكبرِ))(عبد ربه،2007، 2، 330)، وشبه فترة الشباب بوقت الصباح وانقضى في المساء.

الشيب مؤثر ايجابي كما في قول الشاعر بالمقطع(6)(حاجيات،1394هـ-1974م،356)(من الكامل)

6-أَخْطَأْتُ مَرْبَايَ وَغَيْرِي مَا خَطَا

وَتَبَعْتُ غَيِّي فِي الذُّنُوبِ وَفِي الْخَطَإِ

وَالشَّيْبُ وَافَى وَالشَّبَابُ تَفَرَّطَا

يَا سَعْدُ سَاعِدْنِي عَلَى زَمَنٍ سَطَا

هَلْ لِلزَّمَانِ مُسَاعِدٌ بِرُجُوعِ

إن الشاعر اقر بأخطائه واتباعه للخطأ كثرة ذنوبه، والإنسان لا يستطيع اللهو حين المشيب، إذ الشيب يكون سببا للوفاة والثبات، وهو السبب المباشر للتقرب إلى الله وعبادته، اما الشباب فيميل به الإنسان إلى اللهو والعبث، وهنا يتساءل الشاعر هل يرجع الزمان؟ ليستطيع ان يصلح أخطائه ويتوب إلى الله من ذنوبه.

يتحسر الشاعر على فقدان الشباب؛ لأن الشيب تفشى في رأسه بقوله في الابيات (2-4) (حاجيات،1394هـ-1974م،359) (من المتقارب)

2-إِلَى أَنْ بَدَا الشَّيْبُ فِي مُفَرَّقِي
وَأَجْرَيْتُ مِنْ خَيْلِهِ أَشْهَبَا
3-فَأَيْقَظَنِي الشَّيْبُ مِنْ غَفْلَتِي
فَفِي لِمَتِي مِنْ حَدِيثِي نَبَا
4-وقد عاد غضّ شبابي به
محيلاً ولوني غدا مذهب

ويذكر الشيب في البيت(7) (حاجيات،1394هـ-1974م،359) (من المتقارب)

7-وَكَمْ قَدْ بَكَيْتُ لِذَنْبٍ جَنَيْتُ
وَقَلْبِي نَهَيْتُ وَلَكِنْ أَبَى

والبيت(9) (حاجيات،1394هـ-1974م،359) (من المتقارب)

9-لَقَدْ حَقَّ أَبْكِي عَلَى زَلَّتِي
فَذَنْبِي لِهَجْرِي قَدْ أَوْجَبَا

مضى الشاعر في وعظ نفسه ووعظ كل من هو على شاكلته ممن تقدم به العمر وزاره الشيب من نظرائه محذره من الموت، كان الشاعر واقعياً في تعامله مع الشيب الذي حل برأسه ليرشده إلى الطريق الصحيح، وفي البيت الثاني يخاطب الشاعر نفسه بأن الشيب ايقظه من غفلته، وما فعله في أيام الشباب التي كان فيها موغلاً في الذنوب منغمساً في الملذات، أنه بكى بسبب ذنوبه التي اقترفها أيام شبابه، وندم لأنه ((فعلها وتاب عنها، والندم على الذنب يُورثُ الحكمة))(الشمري،2014، 140)، وقيل الشيبُ ((موت الشعر، وموت الشعر علَّةٌ لمَوت البشر)) (عبد ربه،2،2007، 331)،وينطبق هذا القول على نص أبي حمو المليء بالحكم، إذ يقول في الأبيات(4-7)(حاجيات،1394هـ-1974م،381)(من الطويل)

3-قَدْ أَصْفَرَ لَوْنِي بَعْدَ حُسْنِ شَبَيبِتِي
كَمَا أَبْيَضَّ رَأْسِي بَعْدَ مَا كَانَ مَسُودًا
4-وَقَدْ مَرَّ عُمْرِي فِي عَسَى وَلَعَلَّمَا
تَوَاصَلَنِي لُبْنَى وَتَهْجُرُنِي سَعَدَى
5-وَتُزَرِّي بِيَ الدُّنْيَا بِزُورِ غُرُورِهَا
فَكَمْ نَقَضْتُ عَهْدًا وَكَمْ نَثَرْتُ عَقْدًا
6-وَهَذَا نُذِيرُ الشَّيْبِ لَاحَ بِمُفَرَّقِي

يُذَكِّرُنِي خَوْفًا وَيَنْجُزُ لِي وَعْدًا

7-هَوَيْتُ مِنَ الدُّنْيَا زَخَارِفَهَا التِّي

بِفُرْطِ هَوَاهَا لَا أُطِيقُ لَهَا رَدًّا

والبيت(11و12) (حاجيات،1394هـ-1974م،381-382)(من الطويل)

11-لَبَانَةُ دَهْرِي قَدْ تَقَضَّتْ وَقَدْ مَضَتْ

وَجِيشُ شَبَابِي بِالْمُشَيْبِ لَقَدْ قَدَّا

12-وَيَا لَيْتَ شَعْرِي لِلزَّمَانِ الَّذِي مَضَى

أَيَرْجَعَ مُرَّ الْعَيْشِ مِنْ بَعْدَهُ شَهْدًا

الأبيات مليئة بالحكم التي ابدع فيها الشاعر، بوصف حاله عندما تقدم به العمر، ابيض شعره واصفر لونه؛ لأن الشيب يقتل الجوهر ولا يُبقى أي نضارة لصاحبه، بعد ما كان جميلاً وحسن المظهر في شبابه الذي تمتع به وزاده غروراً في دنياه، وسرعان ما انقضت هذه الأيام ومضت، وكان الشاعر حزيناً لأنه علم أن المشيب اتى ولا مفر منه، ويتمنى لو ان الزمان يعوده إلى ايام الشباب التي ذهبت، لكن هذا التمني صعب تحقيقه.

هكذا نرى تعبير الشاعر عن حزنه بسبب الشيب بكلمات مشحونة بمكنون النفس الإنسانية ومعاناتها وحسراتها ولهفتها وهموهما، أدى ذلك إلى طبع الشعر بطابع الحزن.

سادساً: الموت

وجدت ظاهرة الموت مع وجود الحياة نفسها، والموت لغة((الميم والواو والتاء أصلٌ صحيح يدلُّ على ذَهاب القُوة من الشيء منه المَوْتُ: خلاف الحياة وإنما قلنا أصلُه ذَهاب القُوة لما روِي عن النبي(ﷺ)_مَنْ أكلَ من هذِه الشَّجَرةِ الخبيثةِ فلا يقربَن مسجِدَنا فإنْ كنتم لا بدَّ آكِليها فأمِيتُوها طبْخا- والموتانُ: الأرض لم تُحْيَ بعدُ بزرعٍ ولا إصلاح))(ابن زكريا، 283/5) والموت زوال الحياة وخروج الروح من الجسد، ولذلك لا يختلف تعريف الموت لغةً عن تعريفه اصطلاحاً، ويقصد به اصطلاحاً هو((نهاية الحياة، وضد الحياة. والمقابل بينه وبين الحياة تقابل العدم والملكه))(صليبا، 1982، 440/2)، وطبيعة الموت كلية مطلقة؛ لأن جميع البشر فانون((وكُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ))(آل عمران، 185) لامحالة ولهذا قيل إن الموت ((لا يعرف التمييز بين عباقرة وسوقة، أو بين علماء وجهال، أو بين شبان وشيوخ أو أخيار وأشرار))(شورون، 1404هـ-1984م، 5)، والكناية عن ذكر الموت يقال((اسْتأثرَ اللهُ بهِ، ونَقِلهُ إلى ذارِ كَرَامَتِهِ، وعُوجِلَ إلى رَحْمَةِ رَبهِ، واخْتَارَ لهُ اللهُ ما اختارَ لأصفِيايهِ مِن جِوَارِهِ))(الهمذاني،1411هـ-1991م، 240)، ويعد الشعر

أكثر الفنون ارتباطاً بالموت؛ لأن الشعر يصور جوهر الأشياء لا ظواهرها، وقد تجلى الموت في قصائد أبي حمو حتى جاءت قصائد كاملة تمتلئ بالموت المدمر، الذي أخذ منه أعز أحبابه (والده)، إذ يقول(1-33) في أحدى قصائده (حاجيات،1394هـ-1974م،333-335) (من الكامل)

1-دَنْفَ تَذْكُرْ حَسْرَةَ التَّوْدِيعِ،
وَهُيَيْءَ وَصْلَ بَالنَّوَى مُقْطُوعْ
2-ولما عَرا من فَقْدِ خير أَحْبَتِي
وَمُرَارَةِ التَّودِيعِ وَالتَّشْيِيعِ
....
7-وَالْبَيْنُ فَوْقَ سَهْمِهِ وَرَمَى بِهِ
عَمْدًا إِلَى قَلْبِ الشَّجِيِّ الْمَوْجُوعِ
8-آهٍ لَوَصْلٍ قَطَّعَتْهُ يَدُ النَّوَى
وَلِحُسْرَةِ الْمَوْصُولِ وَالْمَقْطُوعِ
9-وَالدَّهْرُ أَفْجَعَنِي وَغَيْرَ بَاطِنِي
حَتَّى أَضَرَّ بِقَلْبِي الْمَفْجُوعِ
....
29-تَرَكَ الْجَمِيعَ وَصَارَ عَنْ أَحْبَابِهِ
لَمْ يَغِنْ مَا قَدْ ضَمَّ مِنْ مَجْمُوعِ
30-لَوْ كَانَ يُعْرَضُ لِلْفِدَاءِ فَدَيْتُهُ
بِالدُّرِّ ثُمَّ بِمَسْجِدٍ مَطْبُوعِ
31-وَبِمَا مَلَكَتْ وَنَاظِرِي وَحَشَاشَتِي
وَبِمُهَجَتِي وَبِقَلْبِي الْمَصْدُوعِ
32-قدًا كَانَ لَنَا مِنْهُ أَبًا ذَا رَأْفَةٍ
كُنَّا لَهُ فِي الْبَرِّ جَدَّ مُطِيعِ
33-حَتَّى رَمَى الدَّهْرُ الْمُشْتَ بِسَهْمِهِ
فِي شَمْلِنَا الْمُنْظَومِ وَالْمَجْمُوعِ

صور الشاعر ألم فقد والده، وايامه لم تنصفه بفراقه لأحبته، عكس دموعه التي عبرت عن مشاعره المكبوتة، والدنيا أفجعته بأعز إنسان لديه، وترك وحيداً مفجوعًا. وكرر لفظ (الدهر)

في رثاء والده، ودلالة هذه اللفظة في غاية التعقيد، ومعناها الأصليّ الزمن، ولا سيما الزمن اللاّمتناهي في امتداده، والقدر الذي لا يستثني أحداً، فنظر الشاعر إلى الدهر نظرة عتب واشمئزاز(عبد السلام، 2017، 74-83).

يعاني الشاعر من مرارة الاغتراب، وأبوه ذهب إلى غير عودة، إذ يقول(1-36): (حاجيات،1394هـ-1974م،336-337)(من البسيط)

1-صَبَّ تُذْكَرْ عَهْداً بَالْحُمَى سَلَّفَاً
فَظَلَّ يُسْكِبُ دَمْعًا هَاطِلًا وَكَفًّا

2-وَبَاتَ مِنْ شَدَّةِ الأَشْرَافِ فِي قَلَقٍ
وَخَامَرَتْ عَقْلَهُ الأَفْكَارُ فَاخْتَلَّفَا

3-وَهَيْجَتْهُ الصَّبَا يَوْمًا بِهِمٍّ فَصَبَّا
وَصَاحَ مِنْ وَهْجِ التَّبْرِيحِ وَآسَفًا

....

10-قَدْ كَانَ لِي فِي الدُّنَى أَبٌ يُسَاعِدُنِي
فَصَارَ تَحْتَ الثَّرَى فِي لَحْدِهِ اكْتَنَفَا

11-مَدَّدْتُ فِي ظِلِّ نِعْمَاهُ يَدِيَّ زَمَنًا
وَنَلْتُ مِنْ رَفْدِهِ فِي دَهْرِهِ التَّحْفَا

....

18-لَا غَرْوًا إِنَّا رِجَالٌ لَا نَفِيءُ بِمَا
لِلْوَالِدَيْنِ عَلَيْنَا بِالْحُقُوقِ وَفَا

19-مَوْلايَ يُوسُفَ أَفْجَعْتَ الْبَنِينَ وَقَدْ
أَضْحَى وَلِيدُكَ مُوسَى نَاحِبًا نَحْفَا

20-لَوْ كُنْتَ تُفْدِي بِمَالٍ أَوْ بِنَفْسٍ فَتَى
فَدَتْكَ نَفْسِي وَمَالِي كَيْ أَبِي نَصْفَا

....

21-يَا فَقْدَ يُوسُفَ مَا أَبْقَيْتَ لِي جَلَدًا
يَا فَقْدَ يُوسُفَ إِنَّ الصَّبْرَ عَنْكَ عَفَا

22-مَا مِثْلُ يُوسُفَ مَفْقُودٌ لِفَاقِدِهِ

وَلَا كَمُوسَى أَخُو فَقْدٍ إِذَا وَصَفَا

23-أُصِيبَ بِالْمُعْضِلِ الْادمى بِوَالِدِهِ

كَفَقْدِ يُوسُفَ لَكِنْ حَتْفُ ذَا جَحْفَا

24-يَا قَبْرَ يُوسُفَ لَا تَهْدُوكَ هَامِيَّةً

مِنَ الْغَمَامِ وَلَا زَالَ الثَّرَى رَعْفَا

نلحظ في هذه الأبيات يقين الشاعر بأن لا نجاة لأحد من الموت، ونيل الخلود مستحيل، ولكن العزاء أن يبقى ذكر أبيه في نفسه، وتبقى نصائحه كالنجوم التي تهدي من ضَلَّ السبيل؛ ومساعدته إليه في كل المحن لكن سرعان ما أخذه الموت منه، وجعله ينحب ويبكي من شدة الحزن والحنين والشوق إليه، حتى أنه يفدي والده بنفسه وماله لكن لا جدوى من ذلك؛ لأن الموت حقيقة حلت بابيه، ثم يذكر ما جرى عليه بفقده لأبيه من ألم ونار الفراق في داخلهِ بقوله في البيت(29): (حاجيات،1394هـ-1974م،338)(من البسيط)

29-الماء والنَار مجموعان في كبدِي

فاعجب لضدين في قلبٍ قد ائتلفا

الموت على الرغم من كونه ظاهرة متكررة معتادة إذ أنه من البديهيات لدى العقل الواعي والتفكير المنطقي إلا أنه اللغز الأكثر حيرة وحزن الإنسان على نفسه وعلى أهلهِ واقربائهِ، لكن نظرة أبي حمو للموت نظرة تتحلى بالشجاعة والقوة، وما دام الموت شيئاً لا بد منه، فيجب على الإنسان أن يتقبله وواضح ذلك في نهاية قصيدته(35-36):

35-الموت باب وكل الناس داخله

والعبد يجزى بما جنى وما اقترفا

36-والله مطّلع فوق العباد وقد

يواخذ العبد في الدنِيا بما سلفا

الخاتمة:

- خلو شعر الشاعر الزياني من الخيال إذ كانت أغلب النصوص الشعرية سهلة واضحة فيها تقريرية مباشرة، كأن حزن الشاعر قد طفح على قصائدهِ فلم يحتج أن يكون بحاجة إلى أن يصوغها بصور شعرية عميقة.
- إن ثنائية الحب والفراق كانت وراء شعور الشاعر بالحزن، وكانت واضحة في قصائده؛ لأنه أحب كل سكان الحي، والأهل، والأصدقاء، ومدينته، ولم يقتصر على حب امرأة (الحبيبة)،

لكن فارق كل من أحب؛ بسبب ابتعاده عن مدينته؛ وهو محبوب ومرغوب من قبل النساء الجميلات لكونه ملكاً وقائداً شجاعاً.

- عبر الشاعر عن موضوع الغربة والحنين بعاطفة صادقة، وإحساس مرهف، ونفس معذبة تجرعت مرارة الغربة، والحنين إلى وطنه ومدينته تلمسان والمدن المحببه له، بكثرة البكاء والاحساس بالألم واليأس والجزع والهجران، لكن تمكن الشاعر أبو حمو من الرجوع إلى وطنه، بعد منفاه لحقبة من الزمن.
- الشاعر في أغلب قصائده عبر عن مواقفه اتجاه نفسه والآخر، ومثلت قصائده مواقفه النفسية في آمالها وآلامها، فكان الحزن ترويحاً عن نفسه من خلال البكاء وسكب الدموع الغزيرة بعد موت والده ونفيه وبعده عن وطنه وشوقه وحنينه للديار المقدسة.
- غلب على قصائد الشاعر الدعاء من اجل التوب إلى الله- عز وجل- وطلب الحاجة منه(كالعفو وغفر ذنوب)، وبعض القصائد تحمل عنواناً يحمل معنى الدعاء، والبعض الآخر فيها أبيات يختم فيها الشاعر قصائده، ونلاحظ تلك الأبيات يتجلى فيها مطلب المرء ومعونته من ربه، شفافة عذبة، ورقيقة شريفة المعنى، صادقة العاطفة؛ لأنه من الشعراء الزهاد، وانعزل فترة من الزمن عن الملك والسياسة، واتجه للزهد والعبادة.
- وقع الشيب على أبي حمو كان مؤلماً مما جعله يصدر أبياتا تفصح عن هذا الألم والحزن الذي نلمسه في أبياتهِ التي يتحسر فيها على أيام الصبا والشباب المليئه باللهو وارتكاب الأخطاء والذنوب. ونراه حكيماً وزاهداً ومتقبلاً لحقيقة الحياة وتقدم العمر ولا يمكن استرجاع الزمن.
- كان الحزن واضحاً لدى الشاعر عند موت والده، ونظر أبو حمو للموت نظرة تقتضي الشجاعة، وتؤمن بالقوة، إذ ليس هناك معنى للخوف؛ لأن الموت نهاية حتمية، وما دام الموت شيئاً لا بد منه، فحري بالإنسان أن يتقبله، لكنه -في الوقت نفسه- يترك في قلب الشاعر الحزن والألم والشوق الذي حرق قلبه بفراق والده.

المصادر

- القرآن الكريم
- ابن الاثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري(544-606هـ)، 1979م، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر احمد الزاوى ومحمود محمد الطناجي، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
- ابن زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم،1405هـ-1363م، لِسَانُ العرب،نشر أدب الحوزة،قم، ايران.

- بوعزيز، د.يحيى، 2007م، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الجزائر عاصمة الثقافة العربية.
- التونجي، د.محمد، 1999م، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2.
- الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، شرح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.
- حاجيات، عبد الحميد، 1394هـ-1974م، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد الحافظ، 1412هـ-1992م، شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق، بيروت، ط3.
- خورشيد، النوره جي أحمد، 1990م، مفاهيم في الفلسفة والاجتماع، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ط1.
- الرازي، محمد بن أبو بكر بن عبد القادر،1989م، مختار الصحاح، مكتبة لبنان-ساحة رياض الصلح-،بيروت.
- الشمري، ثائر سمير حسن، 2014، الشيب في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1.
- شهري، محمد الري، 1432هـ، 2011م، موسوعة معارف الكتاب والسنة، دار الحديث للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- شورون، جاك، 1404هـ-1984م، الموت في الفكر الغربي، ترجمة: كامل يوسف حسين، تقديم:د. إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، الكويت.
- صليبا، د. جميل، 1982م، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.
- طراد، مجيد، 2009م، المعجم المفصل في المترادفات في اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- عبد ربه، الفقيه أحمد (328هـ)،2007م، العقد الفريد، تحقيق محمد عبد القادر شاهين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- عبد السلام، محمد، 2017، الموت في الشعر العربي، ترجمة: مبروك المناعي، مراجعة: حماد صمود، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1.
- العظم، د. صادق جلال، 2002م، في الحب والحب العذري، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، دمشق، ط5.
- العقل، د. ناصر بن عبد الكريم، الافتراق –مفهومه. أسبابه. سبل الوقاية منه-، الكتيبات الإسلامية، دار القاسم.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد(170هـ)، 2003م، كتاب العين مرتباً على حروف المعجم، تحقيق:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1.
- الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب،1429هـ-2008م، القاموس المحيط، المحقق: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث- القاهرة.
- الكندي، يعقوب بن إسحاق، 1983م، رسالة في الحيلة لدفع الأحزان من ضمن رسائل فلسفية للكندي والفارابي، تحقيق: عبد الرحمان بدوي، دار الأندلس، بيروت،ط3.

- مبارك، زكي، 1413هـ-1993م، مدامع العشاق، دار الجبل، بيروت، دار الجبل، ط1.
- الهمذاني، عبد الرحمن بن عيسى بن حماد، 1411هـ-1991م، كتاب الألفاظ الكتابية، تقديم: د. اسيل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.
- الوالبي، أبو بكر، 1420هـ-1999م، ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى، دراسة وتعليق يسرى عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.

المجلات

- إبراهيم، منال عبد الحي، 2024، دواعي الهجر في غزل شعراء الطوائف والمرابطين، مجلة إكليل للراسات الانسانية، مجلد5، العدد1.
- حسين، رباب هاشم، 2023، المرأة والحب في شعر هادي الحمداني، مجلة إكليل للراسات الانسانية، العدد14.

Sources

- alquran alkarim
- abin alathir, majd aldiyn 'abi alsaeadat almubarak bin muhamad aljazarii(544-606hi), 1979m, alnihayat fi gharayb alhadith wal'athra, tahqiqu: tahir aihmad alzaawaa wamahmud muhamad altanaji, dar ahya' alturath alearabi, bayrut-lubnan.
- abin zakaria, 'ahmad bin fars, muejam maqayis allughati, tahqiq eabd alsalam muhamad harun, dar alfikr liltibaeat walnashr waltawzie.
- abin manzurin, jamal aldiyn muhamad bin makram,1405h-1363m, lisan alearabi, nashr 'adab alhawzati, qim, ayran.
- bueaziz, di.yhyaa, 2007m, talmisan easimat almaghrib al'awsata, aljazayir easimat althaqafat alearabiati.
- •altunji, du.mahamadu, 1999ma, almuejam almufasal fi al'adbi, dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan, ta2.
- •aljamhy, muhamad bim salami, tabaqat fuhawl alshueara', sharha: mahmud muhamad shakiri, dar almadani, jida.
- •hajiaatu, eabd alhamid, 1394h-1974ma, 'abu hamw musaa alzayaani hayaatuh watharuhu, alsharikat alwataniat lilnashr waltawziei, aljazayir.
- alkhatabi, 'abu sulayman hamd bin muhamad alhafiz, 1412h-1992m, shan alduea'i, tahqiqu: 'ahmad yusif aldaqaaqi, dar althaqafat alearabiati, dimashqa, bayrut, ta3.
- khurshida, alnuwruh ji 'ahmadu, 1990m, mafahim fi alfalsafat waliajtimaeu, dar alshuwuwn althaqafiat aleamati- baghdada, ta1.

- alraazi, muhamad bin 'abu bakr bin eabd alqadir,1989m, mukhtar alsahahi, maktabat lubanan-sahat riad alsalha-,birut.
- alshamari, thayir samir hasan, 2014, alshiyb fi alshier aleabaasii hataa nihayat alqarn alraabie alhijrii, dar safa' lilnashr waltawziei, eaman, ta1.
- shahri, muhamad alrayi, 1432h, 2011ma, mawsueat maearif alkitaab walsanati, dar alhadith liltibaeat walnushri, bayrut, lubnan.
- shurun, jak, 1404h-1984m, almawt fi alfikr algharbii, tarjamatu: kamil yusif hsin, taqdima:da. 'iimam eabd alfataah 'iimam, ealam almaerifati, alkuayti.
- sliba, du. jamil, 1982mi, almuejam alfalsafiu bial'alfaz alearabiat walfaransiat wal'iinkiliziat wallaatiniati, dar alkutaab allubnani, bayrut, lubnan.
- tradi, mijid, 2009ma, almuejam almufasal fi almutaradifat fi allughat alearabiati, dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan.
- eabd alsalam, muhamadu, 2017, almawt fi alshier alearabii, tarjamatu: mabruk almanaei, murajaeata: hamaad samud, muminun bila hudud lilnashr waltawzie, lubnan, bayrut, ta1.
- eabd rabih, alfaqih 'ahmad (328h),2007m, aleaqd alfiridi, tahqiq muhamad eabd alqadir shahin, almaktabat aleasriati, sayda, bayrut.
- aleazmi, du. sadiq jalal, 2002m, fi alhubi walhubi aleudhri, dar almadaa lilthaqafat walnashri, suria, dimashqa, ta5.
- aleaqla, du. nasir bin eabd alkrim, aliaftiraq -mafhumahu. 'asbabahu. subul alwiqayat munha-, alkutayibat al'iislamiatu, dar alqasimi.
- alfarahidi, alkhalil bin 'ahmadu(170h), 2003m, kitab aleayn mrtbaan ealaa huruf almuejam, tahqiqu:eabd alhamid hindawi, dar alkutub aleilmiati, biruti-lubnan, ta1.
- alfiruzabadi, majd aldiyn muhamad bin yaequba,1429h-2008m, alqamus almuhiti, almuhaqaqi: 'anas muhamad alshaami wazakariaa jabir 'ahmadu, dar alhadithi- alqahirati.
- alkandi, yaequb bn 'iishaqa, 1983ma, risalat fi alhilat lidafe al'ahzan min dimn rasayil falsafiat lilkindii walfarabi, tahqiqu: eabd alrahman bidwi, dar al'andils, birut,ta3.
- mbarak, zaki, 1413h-1993m, madamie aleashaaqi, dar aljabla, bayrut, dar aljabala, ta1.
- alhamadhani, eabd alrahman bin eisaa bin hamad, 1411h-1991m, kitab al'alfaz alkitabiati, taqdimu: du. asil badie yaequba, dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan, ta1.
- alwalbi, 'abu bakr, 1420h-1999mi, diwan qis bin almulawah majnun laylaa, dirasat wataeliq yusraa eabd alghani, dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan, ta1.

almajalaat-

- 'iibrahim, manal eabd alhayi, 2024, dawaei alhajr fi ghazal shueara' altaayif walmurabitina, majalat lilraasat al'iinsaniati, mujaladi5, aleuddu1.
- husayn, rabab hashim, 2023, almar'at walhubu fi shier hadi alhamdani, majalat 'iiklil lilraasat al'iinsaniiti, aleudadi14

The phenomenon of sadness in the poetry of Abu Hamo Musa II Al-Zayani

Dr. Ekhlas Khalid Abed Al-Jalaali

College of Islamic sciences- Iraqi University

ekhlas.k.abedalgalali@aliraqia.edu.iq

Keywords : Arabic Literature .Abu Hammu, the phenomenon of sadness

Summary:

The phenomenon of sadness is one of the important phenomena in the poetry of Abu Hamo Musa II. The relationship is directly linked to death. Because the poet was affected by the death of his father, his estrangement and longing for the one who left him, and the domestic separation that he suffered, and then the one who left was replaced by gray hair, so; The poet realized that the time he lived in was a time of political turmoil, violence, and oppression, so he wrote his sad poetry, full of sorrow, crying, loss, and deprivation, to express what he felt within himself. The sad image is one of the Brazilian images that is still a sad reference for people in general, and for you, the poet, in particular